دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دراسات قرآنية : الأمثال فى القرآن الكريم " الحلقة الثانية "
المصدر:	التوحيد
الناشر:	جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي:	البصراتي، مصطفى
المجلد/العدد:	س42, ع496
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	ربيع الآخر
الصفحات:	70 - 72
رقم MD:	748568
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	أمثال القرآن، معاني القرآن، ألفاظ القرآن، تفسير القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/748568

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأمثال في القرآن الكريم

الحلقة الثانية

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي المقال السابق تحدثنا عن مقدمة في ((الأمثال في القرآن))، وفي هذا المقال نبدأ الحديث عن المثل الأول في القرآن، وهو من سورة البقرة الآية السابعة عشرة، وهي قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (18)} [البقرة: 17- 18].

تفسير آية المثل:

{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} حال المنافقين الذين آمنوا ظاهراً لا باطناً برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم كفروا فصاروا يتخبطون في ظلمات ضلالهم وهم لا يشعرون ولا أمل لهم في الخروج منها.

قال القاسمي في محاسن التأويل: ((ولما جاء بحقيقة صفتهم (أي في الآيات السابقة) عقبها بضرب المثل- زيادة في الكشف وتتميماً للبيان- فقال تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ} مثلهم: أي: مثالهم في نفاقهم، وحالهم فيه كمثل الذي استوقد أي أوقد ناراً في ظلمة - والتنكير للتعظيم، وقال الراغب: المستوقد: طالب الوقود، ولذلك قال ابن عثيمين: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}، أي طلب من غيره أن يوقد له ناراً، أو طلب من غيره ما يوقد به النار بنفسه، {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ} أي أنارت ما حول المستوقد واستدفأ، وأمن مما يخافه {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} أي: أطفأ الله نارهم- التي هي مدار نورهم- فبقوا في ظلمة وخوف، و((لما)) حرف شرط، و((أضاءت)) فعل الشرط و((ذهب الله)) جواب الشرط، والمعنى: أنه بمجرد الإضاءة ذهب النور؛ لأن القاعدة أن جواب الشرط يلي المشروط مباشرة.

الضمائر مختلفة والمرجع واحد:

وفي هذه الآية نجد اختلافاً في الضمائر: ((استوقد)) مفرد، ((حوله)): مفرد، ((بنورهم)): جمع، ((تركهم)) جمع، ((لا يبصرون)) جمع.

وقد يقول القائل: كيف يجوز في أفصح الكلام أن الضمائر مختلفة والمرجع فيها واحد؟

الجواب من وجهين:

الأول: أن اسم الموصول يفيد العموم، وإذا كان يفيد العموم فهو صالح للمفرد والجمع، فتكون الضمائر في ((استوقد))، و((حوله)) عادت إلى اسم الموصول باعتبار اللفظ، وأما ((نورهم))، و((تركهم)) و((لا يبصرون)) فعادت إلى الموصول باعتبار المعنى.

الوجه الثاني: أن الذي استوقد النار كان مع رفقة، فاستوقد النار له ولرفقته، ولهذا قال تعالى: {أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} الخ، وعلى الوجه الثاني تكون الآية ممثلة لرؤساء المنافقين مع أتباعهم؛ لأن رأس المنافقين هو الذي استوقد النار، وأراد أن ينفع بها أقرانه، ثم ذهبت الإضاءة وبقيت الحرارة، والظلمة، وتركهم جميعاً في ظلمات لا يبصرون.

{وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ} أي: وتركهم في ظلمات لا يبصرون ما حولهم- متحيرين- عن الطريق خائفين-؛ جمعها لتضمنها ظلمات عديدة.

أولها: ظلمة الليل؛ لأن استيقاد النار للإضاءة لا يكون إلا في الليل؛ لأنك إذا استوقدت ناراً بالنهار فغنها لا تضيء.

الثانية: ظلمة الجو إذا كان غائماً.

الثالثة: الظلمة التي تحدث بعد فقد النور، فإنها تكون أشد من الظلمة الدائمة.

و((لا يبصرون)) تأكيد من حيث المعنى لقوله تعالى: {فِي ظُلُمَاتٍ} دال على شدة الظلمة، قال قتادة: ((هذا مثل في المنافقين))، {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ} هي لا إله إلا الله، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا، وآمنوا في الدنيا، ونكحوا النساء، وحقنوا دماءهم حتى إذا ماتوا أذهب الله نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

قال ابن القيم: وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى بها عن النور الذي هو الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارة ما أخسرها!! وصفقة ما أشد غبنها!!

وتأمل كيف قال الله سبحانه وتعالى: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} فوحده، ثم قال: {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ} فجمعها؛ فإن الحق واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق بخلاف طرق الباطل؛ فإنها متعددة متشعبة.

قوله تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ} [البقرة: 18].

فقوله تعالى في وصفهم: ((صم)) خبر لمبتدأ محذوف- أي: هم صم، جمع أصم.

و((الأصم)) الذي لا يسمع، لكنه هنا أريد به شيء معين: أي هم صم عن الحق، فلا يسمعون، والمراد نفي السمع المعنوي- وهو السمع النافع، لا الحسي وهو الإدراك؛ لأن كلهم يسمعون القرآن ويفهمون معناه، لكن لما كانوا لا ينتفعون به صاروا كالصم الذين لا يسمعون، وذلك مثل قول الله تعالى: {ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ} [الأنفال: 21].

قوله تعالى: ((بكم)) جمع أبكم، وهو الذي لا ينطق، والمراد أنهم لا ينطقون بالحق، وإنما ينطقون بالباطل، و((عمى)) جمع أعمى، والمراد أنهم لا ينتفعون بما يشاهدونه من الآيات التي تظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فبهذا سدت طرق الحق أمامهم؛ لأن الحق إما مسموع وإما مشهود، وإما معقول؛ فهم لا يسمعون، ولا يشهدون، كذلك أيضاً، فلا يؤخذ منهم حق؛ لنهم لا ينطقون بالحق، لأنهم بكم فهم لا ينتفعون بالحق من غيرهم، ولا ينفعون غيرهم بحق، قال الله تعالى: {فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ}: الفاء هذه عاطفة، لكنها تفيد السببية- أي بسبب هذه الأوصاف الثلاثة لا يرجعون عن غيهم، فلا ينتفعون بسماع الحق، ولا بمشاهدته، ولا ينطقون به.

المعنى الإجمالي:

شبه سبحانه وتعالى أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا ناراً لتضيء لهم وينتفعون بها، فلما أضاءت لهم النار، فأبصروا من خلال ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، فهم كقوم سفر ضلوا عن الطريق فأوقدوا النار لتضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم فأبصروا وعرفوا طفئت تلك الأنوار، وبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث، فغن الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينيه، ويعقله بقلبه.

وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى فلا تسمه قلوبهم شيئاً ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها، وقيل: لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم نزلوا بمنزلة من لا سمع له ولا بصر ولا عقل.

وقال في صفتهم {فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ} لأنهم قد رأوا في ضوء النار وأبصروا الهدى، فلما طفئت عنهم لم يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا، وفال سبحانه: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ}، ولم يقل ذهب نورهم، وفيه سر بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هو للمؤمنين من الله سبحانه وتعالى.

فإن الله تعالى مع المؤمنين، وإن الله مع الصابرين، وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فذهاب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خص بها أولياءه، فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، ولا من: {كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}.

الفوائد:

1- **من فوائد الآيتين:** بلاغة القرآن، حيث يضرب للمعقولات أمثالاً محسوساتً؛ لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول، لكن من بلاغة القرآن أن الله تعالى يضرب الأمثال المحسوسة للمعاني المعقولة حتى يدركها الإنسان جيداً، كما قال تعالى: {وتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ومَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ} [العنكبوت: 43].

2- من فوائد التشبيه قصد تفظيع المشبه.

3- **ومنها:** ثبوت القياس، وأنه دليل يؤخذ به؛ لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد، وكل مثل في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس.

4- ومنها أن هؤلاء المنافقين ليس في قلوبهم نور، لقوله تعالى: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} [البقرة: 17] فهؤلاء المنافقون يستطعمون الهدى والعلم والنور، فإذا وصل إلى قلوبهم- بمجرد ما يصل إليها- يتضاءل، ويزول؛ لأن هؤلاء المنافقين إخوان للمؤمنين من حيث النسب، وأعمام وأخوال، وأقارب، فربما يجلس إلى المؤمن حقاً، فيتكلم له بإيمان حقيقي، ويدعوه، فينقدح في قلبه هذا الإيمان، ولكن سرعان ما يزول.

5- **ومن فوائد الآيتين:** أن الإيمان نور له تأثير حتى في قلب المنافق؛ لقوله تعالى: {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ} [البقرة: 17]، الإيمان أضاء بعض الشيء في قلوبهم، ولكن لما لم يكن على أسس لم يستقر، ولهذا قال تعالى في سورة المنافقين- وهي أوسع ما تحدث الله به عن المنافقين-: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [المنافقون: 3].

6- **ومنها:** أنه بعد أن ذهب هذا الضياء حلت الظلمة الشديدة، بل الظلمات.

7- **ومنها:** أن الله تعالى جازاهم على حسب ما في قلوبهم: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} [البقرة: 17] كأنه أخذه قهراً.

والحمد لله رب العالمين.